جينيالوجيات الحداثة وما بعد الحداثة..
(قراءة في المفاهيم والأنساق..)

أ.عبد القادر عواد

جامعة وهران

يتطرّق المقال إلى موضوع من الموضوعات الإشكالية التي أثيرت ولا تزال، في ساحة الفكر النقدي والأدبي المعاصر، باعتبارموضوع الحداثة وما بعدها موضوعا مفتوحا على جملة من الطروح النظرية التي احتوت جدلا مفاهيميا ومعرفيا وأصوليا، وهو ما يجعل الحديث في شأن مفاهيم هذه القضية ومصطلحاتها ومرتكزاتها قائما ومثيرا، يستدعي قراءات متعدّدة ومن زوايا متباينة، وكان هذا المقال قراءة بسيطة في بعض مفاهيم الحداثة ومابعد الحداثة وأنساقهما.

الكلمات المفتاحية: جينيالوجيا- الحداثة- مابعد الحداثة- المفهوم- النسق- الجذور- الدلالة- التجليات- المصطلحات- التجديد- الحديث- القدم- الثقافة- المعاصرة- المقابلات- النظريات- التاريخ- المراحل.

1 – البحث عن الدلالة والجذور التاريخية:

إنّ البحث عن جذور الحداثة وأغصانها – قبل الحديث عن ما بعد الحداثة كمرحلة لاحقة – يجعلنا نصطدم في البدء بالمآزق والإشكاليات التي تحيط بها وذلك كونها شاغلا حقيقيا للفكر الإنساني بعامة والعربي بخاصة، منذ التقاء هذا الأخير أو بالأحرى اصطدامه بالثقافات والتّحدّيات الأجنبية التي تدافعت حوله، كما يمكن اعتبار الحداثة أحد المصطلحات التي دار ومازال يدور حولها الجدل العريض في هذا الفكر.

وقد ظلّت الحداثة – على هذا الأساس – بتاريخها وتجلّياتها في ثقافتنا العربية على وجه الخصوص، معلّقة في الفراغ مثل غيرها من المصطلحات والمذاهب المثيلة، وهو ما يجعل القارئ العام لايستطيع الارتكاز على مدلولات دقيقة وواضحة لسياقها ومنظومة مفاهيمها الفرعية والأخرى المتماسة معها، مثل التحديث والمعاصرة والحداثية وغيرها...

غير أنّه يمكن تلمّس طبيعة المصطلح في المتون اللغوية العربية بنوع من البساطة والمحدودية، كونه لم يستخدم من قبل النقاد العرب القدامى الذين أوردوا مصطلحات أخرى تقترب منه في الدلالة كالتجديد والتحديث والحديث، بحيث إنّ الحداثة لغة تعني الجدّة "... الحديث الجديد، وحدَث حدوثا وحداثة نقيض قدُم، وتُضمّ داله إذا ذُكرمع قدم، وحدثان الأمر بالكسر أوّله وابتداؤه لحداثته..." وابتدائه.."[1].

هو ما يذهب إليه العلامة ابن منظور في معجمه، بشأن "الحديث" حين يعرّفه قائلا " كون الشيء لم يكن... ومحدثات الأمور ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السّلف الصالح على غيرها" [2]، وهو الأمر ذاته في المعجم الحديث كأن تعرّف –الحداثة– على أنّها "الإتيان بالشيء الذي لم يؤت بمثله من قبل مع التحرّر من إسار المحاكاة والنقل والاقتباس واجترار القديم"[3].

إنّ التركيز في هذه المعاني القاموسية يبدو منصبّا على تعريف الحديث أو المحدث بمقابلتهما في الأساس زمنيا مع "القديم" أي أنّ البعد الزمني يحتلّ مكانا هاما هنا، وهو تصوّر نقدي يؤكّد في الفكر العربي فكرة التلاحق الزمني في مفهوم الحديث أو المحدث، وكذا فكرة الابتداع الذي يؤشّر إلى بداية مرحلة زمنية معينة، قد ترتبط بشكل ما بأية حداثة محتملة، ممّا يوحي بأن دلالاتها اللغوية– أي الحداثة– على اختلاف مواضعها تتبنّى المقابلة إن لم نقل المواجهة بين الحديث والقديم، فتتجلى وكأنها صيغة من الصّيغ الحضارية التي تنهض على معارضة القديم، فتعارض "صيغة التقليد بمعنى أنها تعارض كل الثقافات السابقة أو التقليدية"[4].

أمّا فيما يخصّ معناها العام فهي تعني "ولوج الفرد أو المجتمع معترك العصر مسلّما بكل المقومات المادية والمعنوية التي تتّسم بها حضارة هذا العصر سواء من علوم وآداب أو فنون وتقنيات وأجهزة اتصال"[5].

ولعلّ دراسة المصطلح هنا ومحاولة تأطيره تتطلّب استعمال سلسلة من مصطلحات أخرى تنتمي جميعها لغويا إلى الجذر **"حدث"** في اللغة العربية، وإلى الجذر في اللغة الأجنبية « **mode** » فيستخدم هنا مثلا **"الحداثة"** مقابلا لـــ« **Modernité** »، و"**التحديث**" مقابلا لـــ « **Modernisation** » ، و" **الحداثية**" أو **"المعاصرة "**أحيانا مقابلا لـــ « **Modernisme** »، و" **الحديث**" مقابلا لـــ « **Moderne** »، و" **الحداثي "** مقابلا لـــ.« **Moderniste** »

وإذا كانت هده المصطلحات أرضية ممكنة لاستقرار واشتراك الدلالة في المفاهيم الغربية إلى حدّ بعيد، فانّ الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الدراسات العربية ولعلّ مردّ ذلك كما هو جليّ إلى إشكالية الاستهلاك والترجمة التي تمرّ بها الثقافة العربية الحالية، وهي مشكلة تؤدي بطبيعتها إلى نوع من الالتباس والفوضى والتداخل في تداول المصطلحات، فلفظة « **Modernisme** » مثلا تترجم إلى " **الحداثة**" أو " **الحداثوية**" أو "**الحدثانية**" أو "**العصرية**" أو "**المودرنيزم**" أو "**العصرانية**".

إنّنا حينما نسأل عن الحداثة، نحاول بداهة البحث عبر تخومها المفتوحة بين منعرجات فكرية متعدّدة، وذلك كون البحث عن معانيها يبدو صعبا بالنظر إلى أنّ المصطلح ذو بنية معرفية غربية في الأصل، فيأتي الفرق واضحا وعميقا بين انتاج هذا المصطلح في محيط دلالي خاصّ وانتقاله إلى محيط دلالي آخر- أي عربي — يقتضي الوقوف على الشرعية الذاتية في كل خصوصياتها الفارقة، وهي محاولة يراها الناقد

"**إلياس خوري**" في إطار البحث عن "شرعية المستقبل، بعد أن فقد الماضي شرعيته التاريخية في عالم توحّده الرأسمالية الغربية بالقوة، ويهيمن عليه الغرب، وتنفى فيه الأطراف إلى الذاكرة التاريخية، حيث لا تستعاد إلا بوصفها فلكلورا أو دليلا جديدا على تفوّق الغرب وقدرته على نفي الآخرين وإبادتهم"[6].

ولهذا يلوح المفهوم واحدا من المفاهيم الأوربية- الغربية- التي يجب التّعامل معها تعاملاعمليا وجدليا، يدركها على أنها نسق واحد يرتبط في جذوره بتطوّر الفكر والحضارة الأوربية عموما، وبالتالي فإن سياقه الثّقافي والتاريخي متعلق على نحو وثيق بالثقافة الغربية الحديثة.

فالتجربة الغربية في هذا الشأن هي الأسبق زمنيا، والتي تعتبر وليدة التحديث « **Modernisation** » وهو " الفعل الحضاري الذي واكب نشأة المجتمع الرأسمالي الأوربي أي الحديث، والتي قد تمتدّ إلى قرن أو قرنين قبل حركة الحداثة"[7].

وهو ما يعني على أقلّ تقدير بأنّ الحداثة ما كان لها أن تقوم كحركة دون وجود الأسس الأعمق للتحديث، والتي يقصد بها الفردانية والعقلانية والتنوير والعلمانية.

ويربط في هذا الصّدد المنظّر "**مارشال بيرمان**" ربطا جدليا بين التحديث والحداثة، فيشير إلى المراحل التي مرّت بها تجربة الحداثة في إطارها التاريخي الشامل، فيرى أن المرحلة الأولى تبدأ "من أوائل القرن السادس عشر تقريبا وتستمرّ حتى نهاية القرن الثامن عشر، حين أخذ الناس يجرّبون الحياة "الحديثة"...ثم تبدأ المرحلة الثانية في

تسعينيات القرن الثامن عشر، مع الثورة الفرنسية وجمهورها الثوري الحديث الذي تعمّق إحساسه في التاسع عشر خاصة بأنه يعيش في عالم حديث يختلف تماما عن عوالم سابقة ليست حديثة إطلاقا أما في القرن العشرين، المرحلة الثالثة والأخيرة، فإن عملية التحديث تتّسع لتشمل العالم كله بالفعل، وتحقق ثقافة العالم النامية لترعة الحداثة انتصارات مشهودة في الفن والفكر"[8].

ولعلّ هذه المقاربة التّاريخيّة تتقارب مع مقاربات أخرى متشابهة من حيث النظر إلى الحداثة من خلال أبعاد زمنية معينة، مثل المقاربة التي تحاول وضعها في مسارين أساسيين، فيحصرها الأول منهما "في الفترة التاريخية لما بعد 1453 (سقوط القسطنطينية)، فتنفصل عن كل العصور القديمة والوسطى، ويثبت ما يطبع القرن 15و16 من حركة الإصلاح الديني والاكتشافات في الحقل العلمي، غير أن مغامرة الحداثة في أفقها الفلسفي والجمالي و" **هبرماس**"« **Habermas** » من هؤلاء، فكانت في هذه الحالة نتاج العقلانية التي أفرزت مبدأ الفردانية(الذاتية) حسب الكوجيتو الديكارتي، ويشير "هبرماس" إلى أن "**ماكس فيبر** " (**Max.Weber**) يحدّد العلاقة الداخلية بين الحداثة والعقلانية من خلال فك التصورات الدينية للعالم، كما أن العلوم التجريبية والفنون أصبحت مستقلة والنظريات الأخلاقية مؤسسة على مبادئ؛ ولكن "**هيجل**" حسب "**هبرماس**" هو أول من"فصل بكل وضوح تصورا للحداثة" أما المسار الثاني للحداثة فيمثّله "جوس" الذي يرى أن مصطلح الحداثة مترسّخ في تقاليد أدبية عريقة، تعود إلى الثقافة اليونانية واللاتينية على السواء، حيث كان على امتداد

تاريخ أدب هاتين الثقافتين صراعٌ بين أنصار الحديث وأنصار القديم تبعا لرغبة كل جيل في الاعتراف بزمنه"[9].

وتذهب مقاربة أخرى إلى محاولة تحديد إطارها الزمني وتعيين منعطفاتها التاريخية ابتداء من الرمزية الفرنسية، وقد اتجه الناقدان" **مالكم برادبوري** " MAL-COM » « Bradbury و"**جيمس مكفارلن** (Mc Falcone James)" إلى التركيز بصورة خاصة "على السنوات من 1890 إلى 1930، ولكن هذا التركيز لم يمنعهما من قبول ما يذهب إليه دارسون آخرون من أن الحدود الزمنية للحداثة يمكن أن تقع بين الأعوام من1880 إلى 1950، مع اعتبار فترة الازدهار والذروة بين 1910و1925"[10].

أو ما ذهبت إليه الروائية " **فرجينيا وولف**" في تأكيدها تحديد تاريخ الحداثة بسنة 1910 في قولها "في شهر كانون الثاني عام 1910 حدث تغيّر كبير في الطبيعة البشرية"[11] كما أن "**هاري ليفين**" يعيدها إلى عام 1936" [12]، وهناك من يرى أنّ السّنوات الحاسمة التي مثلت أوج الحداثة هي تلك سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة، وتمخّضت عن حصاد إبداعي كبير في أوائل العشرينيات.

وبهذا يمكن الوقوف على حقيقة جليّة، وهي أنّ الحدود التاريخية للحداثة قد تختلف قليلا أو كثيرا بين مؤرخ وآخر أو بين منظّر وآخر أو حتى بين بلد وآخر، وذلك بالنظر إلى تعدّد الأطر القومية لها، بخاصة فيما يتعلق بالإطار المكاني أو ما

يسمّى بجغرافية الحداثة، التي تترامى أطرافها عبر أنحاء العالم المختلفة فتتركّز في مدن كبرى عديدة مثل برلين ، **فيينا، براغ، موسكو، شيكاغو، نيويورك، باريس، لندن**... فهذا الامتداد المكاني (الجغرافي) قد يجعل الحداثة حداثات متعددة، ولكن تبقى رغم هذا ظاهرة فنية عالمية ذات ملامح مشتركة، في تمثيلها لانفجارات الوعي وصراع الأجيال.

فالحداثة بهذا الشكل قد بدأت تباشيرها مع الانقلاب التقني والعلمي في أوربا، والتي تبنّت مسارا خاصا في استيعاب العالم، واتّخذت منحى مغايرا في تحسّس موجوداته بالتفاعل معها، فكانت على هذا الأساس حالة عقلية ورؤية إنسانية تمثّل نمطا من الوعي الشامل في العالم الحديث، هاجسه ضرورة اللحاق بحركة الزمن، وهو شعور تاريخي مرتبط بمناخات هذا الزمن المتجدد، الذي فرض تعايشا متميزا مع كثير من الحركات الفنية والأدبية " ظهرت في مواقع مختلفة من العالم الرأسمالي الغربي منذ أواخر القرن الماضي وحتى منتصف هذا القرن تقريبا، وحملت عددا من الأشكال الفنية المتمردة على المستقرّ والسائد قبلها وأثناءها ومجسّدة لحالات من القلق الوجودي للإنسان الأوربي في مرحلة محددة من مراحل تطوره الاجتماعي والحضاري" (13).

وهي حركات فنية وطليعية عديدة مثل الرمزية، الانطباعية، التعبيرية، التكعيبية، المستقبلية، الصورية، الدادية، السريالية... قد اتجهت عموما نحو التجريد والتمرد ضد الواقعية والرومانسية، مع أنها ليست ذات طبيعة واحدة، بل إن بعضها كان بمثابة ردّ

فعل قوي ضد سائر الحركات، وقد رأى الناقد المصري الأمريكي" إيهاب حسن" وفق هذا، أن الأدب الحديث انبثق عن الحركة الرمزية في القرن التاسع عشر، وهي إشارة تردّ جذور الحداثة إلى الرمزية التي ترتبط فيها اللغة بالعالم وبالفن، وقد افتتح الشاعر الفرنسي "**شارل بودلير**" (1821-1867) كما يقول "**هنري لوفيفر**" " للشعر والفن الحديث الطريق التي سينتهجها من بعده، رامبو ولوتر يامون ومالارميه فالبري، وآخرون..فاللغة، كلغة قد احتلت ابتداء من نهايات القرن التاسع

عشر مقدّمة المشهد الثقافي"[14].

وعليه فبودلير يعتبر مؤسّس الحداثة الجمالية بتحريره المخيلة وتجديد اللغة في القبض على المبتذل واليومي، وملاحقة الهارب والمنفلت ولمتناسل من صلب الحياة العصرية كما يعتبر الشاعر "**رامبو**" أيضا اسما "لا سبيل إلى تجاوزه أو اختزاله والذي ينتصر للحداثة في قوله "علينا أن نكون حديثين مطلقا"[15].

لقد عبّرت الحداثة خير تعبير انطلاقا من هذا التأسيس، عن فوضى العصر واضطرابه وعن سيطرة مبدأ اللاّيقين، وذلك بعد تدمير أسس الحضارة والمنطق والعقل في الحرب العالمية الأولى، وبالتالي تمثل فنّا للتحديث وأدبا يمكنه أن يعكس الفوضى اللغوية الناجمة عن تحوّل الحقائق وفقدان مصداقية الأفكار، فكان لزاما أن تحدث تحوّلات جذرية وطفرات نوعية في القيم والتجارب التي سعى إليها الوعي الجديد، وهو ما جعل الحداثة ترتبط في أبرز ملامحها الأسلوبية بسلسلة من النعوت

غير الإيجابية مثل الفوضى والعبث والتشظّي والعدم واليأس والهدم...، وهذا ما يدفع إلى اعتبارها تصورا سلبيا مزعجا ومضادا للمؤسسات والتقاليد والأشكال، فكان من الطبيعي أن تواجه منذ بدئها بحكم منطلقاتها الحادّة"ردود فعل سلبية من مصادر مختلفة سواء كانت دينية الاتجاه أو علمانية"[16].

غير أنّ ما توصف به الحداثة عادة من اشتمالها على مختلف العناصر السلبية، ينبغي النّظر إليه في إطار الإشكالية المعقّدة والحساسة بين المبدع واللغة، بحيث يفترض في النظام اللغوي الخاضع للسياق التاريخي أن يعبّر عن الحالات الإبداعية الجديدة التي تتزامن وهذه المرحلة الحضارية الجديدة.

2- الحداثة العربية:

لعلّ تاريخ العرب الحديث قد تشكّل من خلال التحرّك فوق النصل الحاد لموضوعة الحداثة، وتجلياتها الفكرية والاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، وهي التّجليات التي ترتبط بسمات العصر الحديث وبشروطه التاريخية والموضوعية، التي يبدو أنها قد تعدّت إشكالية القديم والمحدث إلى قضية بنية المجتمع العربي الحديث ووعيه لذاته وللآخر، وهما تجربتان مختلفتان لكنهما تقومان على أساس المثاقفة الإيجابية وعلى الرؤية الكونية للأزمنة، فتصبح الحداثة العربية من هذا المنطلق ثقافة نقدية للتقليد والتراث بوصفها استقلالا للذات وتعددية وممارسات متحررة ومدنية، ووعيا بالذات والغرب على وجه الخصوص، ممّا يجبرها على الارتباط بالحداثة العالمية

ذات التحوّلات الجذرية والسريعة، ضمن عصر كونيّ جديد يختلف نوعيا عن أي لحظة أخرى في التاريخ.

فالرّؤية الاجتماعية والتّاريخية العربية إلى مفهوم الحداثة يشوبها نوعٌ من الضباب، وذلك لأنها تقترن غالبا بالنظر إلى أنّ الغرب هو المصدر البنيوي والمعرفي لتجليات المشروع الحداثي، فينشبك تاريخها لدى العرب بتاريخها لدى الغرب، وهو ما قد يطرح في هذا السياق بدل الحداثة الواحدة حداثات أو على الأقل حداثتين، تتمثل الأولى منهما بداهة في الفكر والنموذج الغربيين " بأنساقهما ومنظومتها المعرفية وأجهزتهما المفاهيمية وسياقاتهما التاريخية والسوسيو ثقافية منذ تدشين عهد التنوير ووصولا إلى مابات يطلق عليه عهد مابعد الحداثة، والثانية تختص بقراءتنا للفكر والنموذج المعنيين، وفرعية إنتاجنا الخاص للموضوع منذ الإرهاصات الأولى للفكر النهضوي، ووصولا إلى مرحلة نهايات القرن العشرين"[15].

إنّ قراءة الآخر تستدعي بالضرورة مواجهةً مثل مواجهة الذات في آن واحد، وتعني مواجهة الذات هنا مواجهة أبنية الماضي والحاضر والنظام السائد.

في ضوء هذه التجربة العربية المعاصرة، يتزايد الوعي منذ سنوات بأهمية الانتماء إلى الحداثة بمختلف مستوياتها الحضارية والفكرية والاجتماعية وكذا الجمالية، في إطار الحداثة الأدبية والنقدية بخاصّة، فيميل أصحاب هذا الوعي بالضرورة إلى مفارقة المناهج والمقاربات التقليدية السائدة، والانتماء إلى المشروع الحداثي الحضاري العربي

عموما، والمشروع الحداثي الثقافي بشكل أخص بوصفه مشروعا تاريخيا وحضاريا وسوسيولوجيا ينبع من حاجات التغيير والتقدم، فليس آنئذ أمام الناقد والشاعر العربيين من سبيل غير سبيل تحديث الأدوات والرؤى والمنهج تحديثا جذريا وتاما، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الوعي العميق بحاجات التغيير والتحديث.

لقد لا حظ بعض الدراسيين والنقاد بأنّ الكتابات الحداثية التجريبية، قد أصبحت تشغل الآن حيّزا معتبرا في إنتاج المبدعين العرب وبخاصة من جيل الشباب، فالظاهرة حسب الناقد المصري **"شكري عيّاد** ":"هي من المنظور الاجتماعي ظاهرة صحية...فالأدب الحداثي مهما كان مضمونه أدب رافض، والرّفض معناه ألا نستسلم للواقع الكالح"[18].

3- الحداثة في الشّعر العربيّ:

يذهب الشاعروالناقد " **محمد بنيس** " في إطار محاولات التنظير الخاصة بحداثة الشعرالعربي، إلى اعتبار هذه الحداثة قد مرّت بمراحل أو حدود معينة، ممثلة في تعاريف ثلاثة وهي:

أولا: حيث تتموضع الحداثة في الامتداد التاريخي منذ "البارودي" أو منذ شعر النهضة، ومعناه أن الحداثة ظاهرة تاريخية بتحوّلاتها وانكساراتها.

ثانيا: حيث يؤالف بين الحداثة كظاهرة تاريخية وبين جملة من الخصائص النصية التي تشمل عناصر وبنية الشعر العربي مع مجيء الشعر المعاصر، بالتركيز على عنصر الرؤيا باعتبارها مكونا من مكونات النص الحديث.

ثالثا: وفيه ميل إلى حصر الحداثة في الشعر الأوربي، واعتبار ما أنتج منذ شعر النهضة إلى الآن، بعيدا عن أن يستوعب الحداثة في الممارسة التنظيرية والنصيّة[19].

وبهذا فقد اقتحم الشعر العربي مشروعَ حداثته منذ ما يقارب القرن أو أكثر، بصحبة رصيد معرفي منشبك برؤى وممارسات لها حيّزاتها وبناياتها.

غير أن المشروع يتجلّى إبداعيا- بعمق – ابتداء من منتصف القرن العشرين، فيمكننا أن نلفي أفرادا أو جماعات في مواقع مختلفة من العالم العربي" مثل الرمزيين والسرياليين، وجماعة مجلة"شعر" في لبنان وجماعات الشعر الحداثية بمصر في السبعينيات "**إضاءة 77**" و"**أصوات**"، وهم جميعا أعلنوا سواء في بياناتهم النظرية، أو في إنتاجهم، أنهم يتبنّون بدرجات مختلفة الحداثة الأوربية" [20].

لقد اعتقد بأنّ الكتابة فعل تخطّ دائم، فعل هدم وتجاوز وابتداء، مع حتمية الانقطاع عن القديم العربي والتغاير معه إن تطلّب الأمر، كما تجلى بخاصة على مستوى قصيدة النثر لدى" **أنسي الحاج**" و"**محمد الماغوط**"، و"**يوسف الخال**" الذي ينظر في شيء من التواصل إلى التّراث العربي في كون حركة الشعر العربي

الحديث"حركة ثورية تطورية تنبع من داخل تراث الأدب العربي لامن خارجه... فالحركة نهضة هدفها رفع النفس العربية إلى مستوى الحداثة"[21].

أما الشّاعر المبدع " **أدونيس**" وهو واحد من القلائل الذين نظّروا لها –الحداثة– فترتبط لديه بشكل خاص بالإبداع في كل زمان، حيث يدعو إلى الفصل من خلال تحليل متكامل، بين الحداثة والإبداعية، إذ لا يقيّم الشعر حسبه بحداثته بل بإبداعيته، والتي هي ضمان أبدية حداثة النص.

4- ما بعد الحداثة:

في الحقيقة لم يكن النقاد العرب- بخاصة- قد فرغوا من الجدل السّاخن عن الحداثة وتجلياتها وجذور نشأتها فكريا وأدبيا، حتى أصبح مصطلح آخر بديل متداولا بتفسيرات شتّى وهو "**ما بعد الحداثة** " (**Post-modernité**)" وهو من بين المفاهيم التي تمثل النموذج الفكري من (**المابعديات**) التي راجت منذ منتصف القرن العشرين، وذلك مثل مفهوم "**ما بعد التاريخي**" لدى "**رودريك سيد نبرج**" عام 1950، و"**ما بعد الحضارة**" لدى "**كينيت بولدنج**" عام 1964، و"**ما بعد الثقافة** " لدى"**ليونيل تريلينج**"عام 1965، و"**ما بعد الصناعي**"لدى "**دانييل بيل**" عام 1971، و"**ما بعد الاقتصادي**" لدى"**هيرمان كاهن**" عام 1971، و "**ما بعد العهد الحديث** " لدى "**اميتاي اتزيوني**" عام 1978، و"**ما بعد الرأسمالي** " لدى"**سمير أمين**" عام 1988، و"**ما بعد المادية** " لدى"**رونالد انجلهارت** "عام 1989 و "**مابعد البنوية** "و "**ما بعد الإمبريالية**"و"**ما بعد الكولونيالية**"...، وهي بعضٌ من المابعديات التي تمثل نتاجا لملامح تاريخ مشترك.

لقد صارت أوربا وأمريكا الآن مشغولتين بهذا المصطلح الذي يشعرنا جميعا بأنّنا على أعتاب حقبة جديدة من التاريخ الإنساني أعقبت الحداثة، فهما على أقل تقدير نسقان سياسيان وسوسيوثقافيان متميّزان، أو هما حركتان فنيتان وفكريتان متمايزتان، وقد أخذت التيارات الفنية والأدبية تبتعد بعد الحرب العالمية الثانية شيئا

فشيئا عن الحداثة، فصار الغرب حينئذ يعيش إلى غاية الآن مرحلة فكرية أو ابستيمولوجية وجمالية جديدة، مع أنّ سماتها الرّئيسة تبلورت ونضجت في السّتينيات التي شهدت حالة تسمّى بحالة"الحداثة العليا"، أي أنّها نشأت متواكبة مع ثورة الاتصال والهندسة الوراثية والتطوّر العاصف في استعمالات الذرة.

تبدو إشكالية هذا المصطلح هي ذاتها إشكالية مصطلح الحداثة، من حيث الإطلاق والنشأة والتعريف، ومع هذا فهناك من يعتبر بأنّ "ما بعد الحداثة" لم تبدأ في التشكّل إلا في السبعينيات، فتسمى الفترة الواقعة بين عام 1945 و1970 باسم" **الحداثة المتأخرة**"، كما يذهب الناقد" **إيهاب حسن** " العربي المهاجر- وهو صاحب فكرة استحالة تحديد تاريخ المصطلح- إلى اعتماد رأي يقول بأنّ فترة ما بعد الحداثة تبدأ منذ الثلاثينيات من القرن العشرين بناء على سمات وخصائص معيّنة [22].

لعلّ "ما بعد الحداثة" هي الحالة الواقعية للإنسانية التي عجزت لأسباب عديدة عن التجاوز الصحي للرأسمالية وخلق الشروط الجديدة لهذا التجاوز في زمن تقوم فيه وسائل الإعلام والثورة التقنية بدور مركزي، وتلتهم الصورةُ الكلمةَ المكتوبة، ثم تزدهرفي مجال الأدب مناهج **مابعد البنوية** أو **البنوية الجديدة** ، كا**لسيميولوجية والتفكيكية(التقويضية)**...، ويقول البعض بأنّ عصرما بعد الحداثة لا يلي عصر الحداثة مباشرة، أي زمنيا لا يعني أنّها تأتي بعد الحداثة، إنها موجودة في ثناياها قطعا أو رفضا لكنها تشكّل قطيعة نوعية مع ما يسمّى **بسرديات الحداثة الكبرى**.

إنّ فكرة أو عهد ما بعد الحداثة يبشّر بعصر أو بعصور متغيرة ومختلفة اختلافا كليا عن العصور السابقة، وهو اختلاف وتغايرٌ يكتسب طابعا سوسيو-ثقافيا واقتصاديا، وهو ما يعني حسب هذا الموقف ظهور مجتمعات **"ما بعد الصناعية** " أو **"ما بعد الرأسمالية** " تقليدية، فتتولّد في هذا الإطار نخب وأقطار سياسية جديدة تنتج بدورها هويات جديدة في العلوم والفنون والآداب والمذاهب السياسية، وبهذا الاعتبار يمكن اعتبار خطاب ما بعد الحداثة خطاب أزمة على المستوى الابستمولوجي والإديولوجي، ضمن رؤية جدلية تاريخية جديدة، تقوم على بعد تفكيكي يبدّد التاريخ، ويطلق الحاضر في غمار اللاّمعنى واللامعقولية، فيقرأ النص في بنية اللفظية و"المعنمية" بغرض التقويض والتهشيم، بدعوى الكشف عن لا معقوليته ولا معنميته، كما صنع **"ميشال فوكو"** و**"جاك دريدا"وجيل دولوز"** مثلا.

إنّ لما بعد الحداثة سمات بنوية عديدة وأسئلة فلسفية عميقة، أسّست كلها لسلطات وخطابات متباينة، تحاول تجاوز الراهن والترعة إلى خلق أنساق وعي جديد، قد تحمي الفكر العربي من خطاب الإقصاء الذي يحمله-مثلا- كلٌ من **"فوكوياما"** في **"نهاية التاريخ"** و**"هنتغتون"** في **"صدام الحضارات"**.

الهوامش:

1 -الفيروزآبادي، مجد الدين يعقوب : القاموس المحيط، ج1، دار الجيل، بيروت، ص 170.

2 -ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، إعداد يوسف خياط، نديم مرعشلي، مج1 (أ- ر)، دار لسان العرب، بيروت، ص518.

3 -د.جبور عبد النور:المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص92.

4 -Encyclopoedia Universalis, Vol 15,Sa France, 1994,p552

5 -د.جودت إبراهيم: الحداثة الشعرية والزمن، جريدة الأسبوع الأدبي، ع 820، 2002، د.ص(نسخة الكترونية).

6 -د.عبد العزيز حمّودة: المرايا المقعّرة، نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، بيروت، 2001، ص36.

7 -سيد البحرواي: الحداثة الغربية في شعر أمل دنقل، مجلة نزوى، ع 5، عمان، 1996، د.ص(نسخة الكترونية).

8 - د. نايف العجلوني: الحداثة والحداثية: المصطلح والمفهوم، مجلة أبحاث اليرموك، ع 2، 1996، ص114.

9 -محمد بنّيس: الشعر العربي الحديث ومآل الحداثة، مجلة التّبيين، ع 4، الجاحظية 1993، الجزائر، ص55-56.

10-د.نايف العجلوني: الحداثة والحداثية...، ص120.

11-مالكم برادبوري وجيمس ماكفارلن: الحداثة، تر: مؤيّد محسن فوزي، د.ط، دار المأمون، بغداد، 1987، ص33

12-هنري لوفيفر: ما الحداثة، تر: كاظم جواد، ط1، دار ابن رشد، بيروت، 1983، ص16.

13- سيد البحرواي:الحداثة الغربية في شعر أمل د نقل، د.ص.

14- د.نايف العجلوني: الحداثة والحداثية، ص121.

15- محمد بنّيس: حداثة السؤال؛ بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ط 2، المركز الثقافي العربي بيروت/الدار البيضاء، 1988، ص64.

16- جواد الطعمة: الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة، مجلة فصول، مج 4، ج 2، ع1984، 4، ص14.

17- د.أحمد المديني: مقدمات أخيرة حول إشكالية مزمنة...مجلة التبيين، ع6، ص41-42.

18- د. نايف العجلوني:الحداثة والحداثية...ص139.

19- ينظر محمد بنيس: حداثة السؤال، بخصوص الحداثة العربية...ص110-111.

20- سيد البحرواي: الحداثة الغربية في شعر أمل دنقل، ص

21- محمد بنيس: حداثة السؤال...ص63.

22- ينظر د.حامد أبو أحمد:الخطاب والقارئ..نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، الرياض، 1996، ص192.